إلى متى يا (ملك الملوك)(*) ؟ . .

أعلن شاه إيران تشكيل حكومة عسكرية برئاسة رئيس الأركان (غلام رضا أظهـــري) ، خـــرّيج الأكاديميـــات العسكرية الإيرانية والأمريكية وحامل (معظم الأوسمة) التي تعرفها إيران ..

وأعلن رئيس الوزراء العسكري الجديد على الفور تشديد الأحكام العرفية السارية في المدن الإيرانية ، وزيادة فترة حظر التجول .. وجابت سيارات الجيش الطرقات تحذّر من أيّ تجمع يزيد على ثلاثة أشخاص ، كما أُعلن إغـــلاق سائر المدارس والجامعة في طهران إلى أجل غير مسمى .. وقال (أظهري) إنه يريد (إعادة الاستقرار إلى إيران) ..

وكان الشاه قد أوعز إلى أكثر من 60 فرداً من كبار أعضاء أسرته بمغادرة إيـــران .. كمـــا اتخـــذت الـــسفارة الأمريكية إجراءات واسعة النطاق لحماية الخبراء وأسرهم

وبعد ساعات من تشكيل الحكومة العسكرية اجتمع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر بكبار مستشاريه في شـــؤون الأمن ، فصدرت التصريحات الأمريكية تؤكد من جديد الدعم المستمر لملك الملوك في إيران ، وتبرر تشكيل حكومة عسكرية بأنه لم يبق أمام الشاه سبيل آخر (لإعادة الاستقرار) في البلد الذي يمثل (حجر الزاوية في استقرار مجمـــوع الوضع في هذه المنطقة الغنية بالنفط الخام) .. ثم تبع التصريحات بيانٌ رسمي بذلك من وزارة الخارجيـــة بعـــد أربـــع وعشرين ساعة فقط ..

وأعلن الإمام الخميني في مقرّه الحالي في باريس أن تشكيل الحكومة العسكرية لن يؤثر على متابعة النضال حـــتى يسقط نظام الشاه الحاكم في إيران ، كما أعلن زعماء المعارضة السياسية في إيران من قبل رفضهم للحلول الوســـطية الهادفة إلى بقاء حكم الشاه تحت ستار المشاركة في الحكم ..

وتناقلت وكالات الأنباء أن اليومين الأولين لحكم الضباط العسكريين(**) شـــهدا المزيـــد مـــن الاضـــطرابات والمظاهرات التي شملت ما لا يقل عن ستين ألف شخص في مدينة طهران وحدها ، ولكن لم يعد يُعرَف عدد القتلـــى والجرحى ، فقد فُرضت الرقابة المشدّدة من جديد على أجهزة الإعلام ..

هل بقي بعد ذلك كلّه ستار زائف يحجب حقيقة المعركة الدائرة في إيران ؟ ..

هل بقي حجة باطلة لرفض إرادة الشعب الثائر وبقاء الحكم الجائر إلاّ التشبث بالبقاء مهما كان الثمن ؟ ..

هل بقي في جعبة الطغيان ومؤيّديه من المنتفعين في الداخل أو أصحاب المصالح في الخارج مزيد من الادعـــاءات والافتراءات ؟ ..

(إمّا أنا .. ملك الملوك .. أو إيران وشعب إيران) .. كلمة يقولها الشاه على آثار (بوتو) ، بلسان نيران الأسلحة الفتّاكة ، ولغة الوعود المخادعة والتهديدات المتوالية ، وأساليب الحكم والقمع العسكرية العرفية ، وفنـــون نـــشاط المخابرات السرية

والشعب ثائر يأبى الخضوع .. فقد بلغ طغيان الفرد ، ونفوذ العدوّ ، والحرمان الرهيب درجةً لم تعد تفلح معهـــا عمليات القتل الجماعي على مسمع ومشهد من العالم كله ، و لم يعد يخشى بعدها المزيد من الإرهـــاب والاعتقـــال والتعذيب الذي ذاق ويلاته عشرات السنين فما يكاد يوجد مجال لمزيد

لم يعد في الإمكان الادّعاء أن الثورة ثورة (حفنةٍ من المتمردين) إلاّ إذا كان الشعب كلّه (حفنة) ، وكانت الفئـــة الحاكمة الطاغية هي (الشعب) .. لم تعد تجدي الاتهامات بالتطرّف .. فالشعب كل الشعب بسائر فئاته وفي جميـــع مدنه وقراه خرج يطالب بتحرره من ربقة العبودية لحكم الطغيان ، ومن الولاء والتبعية لأعداء البلاد ، ومن الحرمـــان الرهيب المفروض عليه .. بينما المستغلون المنتفعون من التسلط يترفون بالثروات والطاقات .. ولن يـــسمح الـــشعب بسرقة ثورته من قبل أيّ اتجاه من الاتجاهات لفرض ولاء جديد وعبودية جديدة ..

عشرات السنين مرّت على ممارسة وسائل الكبت والإرهاب ، وألوان التغريب والفساد والانحلال والإلحاد ، بعيداً بعيداً عن الإسلام .. و لم تفلح السنون في انتزاع الولاء الفطري لربّ العالمين في الصدور ، وقوة الإسلام الذاتيـــة في أعماق القلوب .. تستجيب لنداء لا إله إلاّ الله ، وتهبّ لمواجهة الظلم والظالمين ، مهما كانت المعركة غير متكافئة ، بين من يملك وسائل التسلط بأجهزة المخابرات والدعم الخارجي وقوة السلاح ومن لا يملك سوى النداءات والهتافات في المساجد والجامعات والطرقات .. بين من يوجه الدبابات والرشاشات للصدور والنحور ومن لا يملـــك ســـوى الصدور والنحور

ماذا بقي أمام الشاه ليبقى .. إلاّ أن يفنيَ الشعب الرافض لبقائه في حرب إبادة جماعية ؟ ..

وأين .. أين حقوق الإنسان ، وحريات الإنسان ، وكرامة الإنسان ، في موازين زعماء الديمقراطيات الغربيـــة ، ترددها ألسنتهم ليل نهار ، وهم يدعمون بقاء الطغيان جهاراً ، ولا بقاءَ له من دون دعمهم ، ولا هدفَ لهم أكبر من بقاء نفوذهم في المنطقة ببقائه ، فوق أشلاء مئات الشهداء ، وألوف الجرحى ، ووسط أنين عشرات الألـــوف مـــن المعتقلين والمعذبين وشكاوى مئات الألوف بل الملايين من البؤساء والمحرومين

وتتجه الأنظار إلى إيران .. أنظار شعوب مسلمة تعاني من الظلم ما يعانيه شعب إيران ، وأنظار حكـــام بـــلاد مسلمة ، بين قلقٍ على مصيره .. فسقوط الشاه قد يؤدي إلى سقوط أمثاله ولو بعد حين ، وبين متفائلٍ بزوال حكم الشاه ، فقد يحل مكانه من هو أقرب إليهم في الولاء لطاغوت الشرق بدلاً من طاغوت الغرب .. ولكـــن الـــصمت الرهيب مشتركٌ أشبهُ بصمت القبور .. فالطغيان واحد في جوهره وإن تعددت أشكاله ، والهزة المزلزلة لعـــرش مـــن العروش قد تمتدّ آثارها إلى سائر العروش وسدد الرئاسات .. والجميع يدركون أن الاستبداد لا يدوم مهما تـــشبث بالبقاء .. وإنْ حلّ مكانه استبدادٌ آخر فمصيره إلى الزوال أيضا .. لا محالة ، طال العهد به أم قصر

وقد يحسب الطاغوت الانتصار في جولة أو جولات انتصاراً إلى الأبد .. وهيهات هيهات ..

إنها معركة مصيرية ، معركة بقاء أو فناء ، معركة الوجود بالإسلام ومن أجل الإسلام ولرفع راية الإسلام وحمل دعوة الإسلام للناس جميعا .. أو الاستشهاد على طريق الإسلام ، الطريق إلى جنّة الخلود

﴿ ... **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : 40]

(*) نحب أن ننبه إلى عدم جواز إطلاق هذا اللقب الذي يطلقه الشاه على نفسه أو يطلق عليه بنظر الإسلام

(**) حرر هذا المقال مساء الثلاثاء 98/12/07هـ - 78/11/07م